المستوى 5
الوحدة 3 - الأسبوع 4

النص المسترسل

آلْهاتِفُ آلْمُخادِعُ (4)

تَراجَعَتْ لَمْياءُ خُطْوَةً إِلى آلْخَلْفِ، وَأَسْنَدَتْ ظَهْرَها إِلى آلْجِدارِ، كَأَنَّها تُحاوِلُ أَنْ تَسْتَوْعِبَ مَدى آلتَّحَوُّلِ آلَّذي وَصَلَتْ إِلَيْهِ. فَجْأَةً، دَخَلَ آلْجَدُّ فَتَقَدَّمَ نَحْوَها قائِلًا: زَهْرَتي... تَعالَيْ مَعي إِلى آلشُّرْفَةِ، أُريدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ مَعَكِ قَليلًا.

مَشَتْ إِلى جانِبِهِ بِصَمْتٍ، ثُمَّ جَلَسا مَعًا عَلى آلْمَقْعَدِ آلْخَشَبِيِّ كَعادَتِهِما قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ ذاكَ آلْهاتِفُ.

قالَ آلْجَدُّ بِصَوْتٍ هادِئٍ وَنَظْرَةٍ حَنونَةٍ:

ـ أَعْرِفُ أَنَّ قَلْبَكِ مَجْروحٌ، وَأَنَّ فِراقَ آلْهاتِفِ لَيْسَ سَهْلًا. وَلَكِنْ، يا زَهْرَتي، هَلْ تَذْكُرينَ كَيْفَ كُنْتِ قَبْلَ أَنْ تَحْمِليهِ؟ كُنْتِ تَجْلِسينَ مَعَنا، تَضْحَكينَ مَعي، تُساعِدينَ أُمَّكِ، وَتُراجِعينَ دُروسَكِ بِحُبٍّ وَنَشاطٍ...

أَمّا آلْآنَ، فَكَمْ مَرَّةً نادَيْتُكِ وَأَنْتِ لا تَسْمَعينَ؟ كَمْ مَرَّةً وَجَدْتُكِ شارِدَةً، تَنْظُرينَ إِلى شاشَةٍ صامِتَةٍ، وَلا تَرَيْنَ مَنْ حَوْلَكِ؟

طَأْطَأَتْ لَمْياءُ رَأْسَها، وَأَجابَتْ بِصَوْتٍ خافِتٍ:

ـ أَعْرِفُ أَنَّني تَغَيَّرْتُ، وَأَشْعُرُ بِآلذَّنْبِ... أَعِدُكُمْ أَنَّني سَأُحاوِلُ نِسْيانَ آلْهاتِفِ آلْمُخادِعِ. سَأُرَكِّزُ في دِراسَتي، وَأُعيدُ لِـ"زَهْرَةِ آلْبَيْتِ" عَبيرَها.

في تِلْكَ آللَّيْلَةِ، عادَتْ لَمْياءُ إِلى غُرْفَتِها بِصَمْتٍ ثَقيلٍ، كَأَنَّ شَيْئًا في داخِلِها قَدِ انْكَسَرَ. جَلَسَتْ عَلى طَرَفِ آلسَّريرِ، ثُمَّ حَدَّقَتْ طَويلًا في آلْفِراغِ، وَهَمَسَتْ في نَفْسِها: "أَيْنَ هُوَ؟... لِمَ يَبْدو آلسَّريرُ أَكْبَرَ مِنَ آلْمُعْتادِ؟"

لَقَدْ شَعَرَتْ بِفَراغٍ غَريبٍ في قَلْبِها، كَأَنَّهُ صَمْتٌ يَبْتَلِعُ كُلَّ شَيْءٍ. اِسْتَلْقَتْ، وَغَطَّتْ وَجْهَها بِٱلْوِسادَةِ، ثُمَّ هَمَسَتْ وَعَيْناها تُعَبِّرانِ عَنْ حُزْنٍ كَبيرٍ:

ـ "كَيْفَ سَأَقْضي هذِهِ ٱللَّيْلَةَ بِدُونِهِ؟... كانَ يُؤْنِسُني، وَيُضْحِكُني، وَيَأْخُذُني إِلى عالَمٍ آخَرَ... لَقَدْ كانَ صَديقي..."

وَسُرْعانَ ما بَدَأَتْ تَبْكي، كَأَنَّها فارَقَتْ صَديقًا عَزيزًا رَحَلَ فَجْأَةً دونَ وَداعٍ. وَظَلَّتْ هَكَذا حَتّى غَلَبَها ٱلنُّعاسُ...

في ٱلصَّباحِ، لاحَظَتِ ٱلْأُمُّ عَلى وَجْهِ ابْنَتِها شَيْئًا مِنَ ٱلشُّحوبِ، وَعَيْنَيْنِ مُثْقَلَتَيْنِ بِٱلْأَرَقِ، فَاقْتَرَبَتْ مِنْها، وَجَلَسَتْ إِلى جانِبِها، ثُمَّ وَضَعَتْ يَدَها بِلُطْفٍ عَلى شَعْرِها وَقالَتْ:

ـ أَعْرِفُ يا زَهْرَتي، أَعْرِفُ أَنَّ ٱلْفِراقَ صَعْبٌ... وَلَكِنَّني سَأَبْذُلُ كُلَّ ما في وُسْعي لِأَجْعَلَ أَيّامَكِ أَفْضَلَ، حَتّى وَإِنْ أَصْبَحَ ٱلْهاتِفُ بَعيدًا عَنْكِ.

رَفَعَتْ لَمْياءُ رَأْسَها بِبُطْءٍ، وَقالَتْ بِصَوْتٍ خافِتٍ: وَكَيْفَ يا أُمّي؟... أُحاوِلُ أَنْ أَنْسى كُلَّ تِلْكَ ٱلتَّطْبيقاتِ ٱلْجَذّابَةِ، لِكِنَّني لا أَسْتَطيعُ!

اِبْتَسَمَتِ ٱلْأُمُّ، وَأَجابَتْها بِحَماسٍ: سَنَجْعَلُ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ لِلرِّياضَةِ، وَٱلْأَحَدَ لِوِرْشَةِ ٱلْخِياطَةِ، وَٱلْإِثْنَيْنَ لِوِرْشَةِ ٱلطَّبْخِ، وَٱلثُّلاثاءَ لِنادي ٱلْفُنونِ، وَٱلْأَرْبِعاءَ لِمُشاهَدَةِ أَفْلامٍ تَرْبَوِيَّةٍ نُناقِشُها سَوِيًّا، وَٱلْخَميسَ لِكِتابَةِ خَواطِرِكِ وَيَوْمِيّاتِكِ، وَٱلْجُمُعَةَ لِحِفْظِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَريمِ. كُلُّ هذا سَيَكونُ بَعْدَ ٱلرُّجوعِ مِنْ مَدْرَسَتِكِ، وَبَعْدَ إِنْهائِكِ لِواجِباتِكِ ٱلْيَوْمِيَّةِ.

اِنْفَتَحَتْ عَيْنا لَمْياءَ، وَقالَتْ بِفُضولٍ: كُلُّ هَذا؟... أَتَعِدينَني بِذَلِكَ؟

اِحْتَضَنَتْها ٱلْأُمُّ ثُمَّ أَكَّدَتْ وَعْدَها: طَبْعًا أَعِدُكِ، وَأَفي بِوَعْدي لَكِ. فَوَعْدُ ٱلْحُرِّ دَيْنٌ عَلَيْهِ.

مَعَ مَرورِ ٱلْأَيّامِ، بَدَأَتْ لَمْياءُ تَتَأَقْلَمُ مَعَ ٱلْوَضْعِ ٱلْجَديدِ. كانَتْ تَعودُ سَعيدَةً مِنَ ٱلرِّياضَةِ، وَتَضْحَكُ مَعَ أُمِّها أَثْناءَ إِعْدادِ ٱلْحَلْوى، وَتَتَنافَسُ مَعَ ٱلْجَدِّ في اخْتِيارِ أَفْضَلِ ٱلْقِصَصِ، وَكانَ دَفْتَرُ خَواطِرِها يَمْتَلِئُ بِٱلْكَلِماتِ ٱلَّتي لَمْ تَكُنْ تَكْتُبُها مِنْ قَبْلُ.

مَعَ بِدايَةِ ٱلْفَصْلِ ٱلدِّراسِيِّ ٱلثّاني، عادَتْ لَمْياءُ إِلى نَشاطِها، وَتَدارَكَتْ ما فاتَها. أَصْبَحَتْ تُرَكِّزُ في ٱلدُّروسِ، وَتُنْجِزُ واجِباتِها، وَتُشارِكُ في ٱلْقِسْمِ، وَتَسْتَعيدُ ثِقَتَها بِنَفْسِها.

وَعِنْدَما حَلَّتْ نِهايَةُ ٱلسَّنَةِ، وَتَسَلَّمَتْ نَتيجَتَها، كانَ ٱسْمُها ضِمْنَ أَوائِلِ ٱلتَّلاميذِ مَرَّةً أُخْرى. تَهَلَّلَ وَجْهُها فَرَحًا، وَلَمْ تَتَأَخَّرْ في مُشارَكَةِ هَذِهِ ٱلْبُشْرى مَعَ أُسْرَتِها. فَقَدْ ذَهَبَتْ مُسْرِعَةً إِلى ٱلْبَيْتِ، وَسَلَّمَتِ ٱلنَّتيجَةَ لِوالِدَيْها وَجَدِّها، ثُمَّ قالَتْ مُبْتَسِمَةً وَهِيَ تَضَعُ يَدَها عَلى صَدْرِها: لَقَدْ كِدْتُ أُضَيِّعُ دِراسَتي بِسَبَبِ هاتِفٍ مُخادِعٍ!... وَأَعْتَرِفُ: لَوْلاكُمْ، لَما اسْتَطَعْتُ أَنْ أَعُودَ كَما كُنْتُ في ٱلسّابِقِ. شُكْرًا لَكُمْ... شُكْرًا لِأَنَّكُمْ أَنْقَذْتُموني.

عِنْدَها، ٱخْتَلَطَتْ دُموعُ ٱلْجَميعِ بِٱلِابْتِساماتِ، وَقالَ ٱلْجَدُّ وَهُوَ يَمْسَحُ نَظّارَتَهُ: كُنْتُ واثِقًا أَنَّ زَهْرَتَنا سَتُزْهِرُ مِنْ جَديدٍ... وَها قَدْ أَزْهَرَتْ!

القراءة
رسم توضيحي

المستوى 5
الوحدة 3 - الأسبوع 4

النص المسترسل

آلْهاتِفُ آلْمُخادِعُ (4)